

اتَّبِعْنِي.. وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَّ مَوْتَاهُمْ!

(Arabic – Let the dead bury their own dead)

أحِبَّائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: اتَّبِعْنِي.. وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَّ مَوْتَاهُمْ!

وَمِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى الإِصْحَاحِ الثَّامِنِ نَقَرْنَا العَدَدَيْنِ الحَادِيَ والعِشْرِينَ وَالثَّانِي والعِشْرِينَ:

"وَقَالَ لَهُ آخَرُ مِنْ تَلَامِيذِهِ: يَا سَيِّدُ. ائِذْنُ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اتَّبِعْنِي وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَّ مَوْتَاهُمْ".^١

لَا أَنْكُرُ أَنَّي أُعْجِبْتُ بِشَهَامَةِ ذَلِكَ التَّلْمِيزِ الَّذِي أَرَادَ اسْتِئْذَانَ الرَّبِّ يَسُوعَ كَيْ يَمْضِيَ أَوَّلًا لِيَدْفِنَ أَبِيهِ. لَا سَيِّمًا أَنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى حِفْظِ الوَصِيَّةِ القَائِلَةِ: "أَكْرَمِ آبَاكَ وَأُمَّكَ". التَّرَمُّ بِهَا وَهَا هُوَ يَطْلُبُ مِنَ الرَّبِّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ كَيْ يُنْفِذَهَا. وَيُوجَدُ مِثْلَ شَعْبِي يَقُولُ: إِنَّ إِكْرَامَ المَيِّتِ دَقْنُهُ. فَلْيَذْهَبْ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ الشَّهْمَ لِيَدْفِنَ أَبِيهِ.. لِيُؤَدِّيَ وَاجِبًا عَائِلِيًّا وَيُجِيبُ نَفْسَهُ انْتِقَادَ الأَهْلِ والأَصْدِقَاءِ.^٢

لَسْنَا نَعْلَمُ رَبُّمَا جَاءَهُ الخَبْرُ وَأَبُوهُ يُنَازِعُ الأَنْفَاسَ الأَخِيرَةَ. أَوْ أَنَّ الأَطْبَاءَ حَكَمُوا بِأَنَّ المَرَضَ الَّذِي يُعَانِيهِ أَبُوهُ هُوَ إِحْدَى الحَالَاتِ الَّتِي عِلاجُهَا مَيُّوسٌ مِثْلًا. وَأَنَّ المُتَوَقَّعَ هُوَ مَوْتُ أَبِيهِ بَعْدَ أَيَّامٍ أَوْ أسَابِيعٍ. وَرَبُّمَا كَانَ أَبُوهُ رَجُلًا مُسِينًا وَعَلَامَاتُ نَهَايَةِ عُمُرِهِ وَصَحَّتْ لِأَقْرَبَائِهِ والأَقْرَبَاءُ يَسْتَعْجِلُونَ الأَيْنَ لِيَقِفَ بِجَانِبِ أَبِيهِ فِي أَيَّامِهِ الأَخِيرَةَ. وَبِذَلِكَ يَضْمَنُ نَصِيئَهُ فِي المِيرَاثِ بَعْدَ رَحِيلِ أَبِيهِ. لَقَدْ أَجَابَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِقَوْلِهِ: "اتَّبِعْنِي وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَّ مَوْتَاهُمْ". إِنَّ إِجَابَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ عَلَى تَلْمِيذِهِ الَّذِي طَلَبَ اسْتِئْذَانَ الرَّبِّ يَسُوعَ كَيْ يَمْضِيَ أَوَّلًا لِيَدْفِنَ أَبِيهِ تُثَبِّرُ فِينَا تَسْأُولَاتٍ عَدِيدَةٍ. نَكْتَفِي مِنْهَا بِأَرْبَعَةٍ أَسْئَلَةٍ لِنَجِيبَ عَلَيْهَا. وَنَحْنُ نَتَأَمَّلُ سُؤَالَ التَّلْمِيزِ وَإِجَابَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ.^٣

أَوَّلًا: لِمَاذَا يَصِفُ الرَّبُّ يَسُوعُ أَنَا سَأَلْتُ أَحْيَاءَ بِأَنَّهُمْ مَوْتَى؟.. إِنَّ المَوْتَ نَتَجُّ عَنِ الخَطِيئَةِ. وَالخَطِيئَةُ مَيِّتٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مُفْصَلٌ عَنِ اللهِ سَوَاءً كَانَ عَلَى الأَرْضِ يَسْعَى أَوْ كَانَ فِي القَبْرِ مَدْفُونًا. إِنَّهُ فِي حَالَةٍ إِنْفِصَالٍ عَنِ اللهِ لِأَنَّ خَطَايَاهُ بَاقِيَةٌ. وَلَيْسَ مَا يَمْحُو الخَطَايَا إِلَّا الدَّمُ "فَيَدُونَ سَفْكَ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفَرَةٌ". وَدَمُ الرَّبِّ يَسُوعَ وَلَيْسَ سِوَاهُ يَمْحُو الخَطَايَا. فَمَنْ جَاءَ عِنْدَ الصَّلِيبِ مُعْتَرِفًا بِخَطَايَاهُ. وَمُؤْمِنًا أَنَّ يَسُوعَ كَانَ بَدِيلًا عَنْهُ. وَمَاتَ مِنْ أَجْلِهِ نَالَ غُفْرَانًا وَتَطْهِيرًا وَدَخَلَ فِي زُمْرَةِ الأَبْرَارِ. وَأَصْبَحَ لَهُ نَصِيبٌ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. لَقَدْ كَتَبَ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي الأَصْحَاحِ الثَّانِي يَقُولُ: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الخَطَايَا وَعَلَفَ جَسَدِكُمْ. أَحْيَاكُمْ مَعَهُ مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الخَطَايَا". لَقَدْ كُنَّا أَمْوَاتًا بِخَطَايَانَا. وَالرَّبُّ سَامِحَنَا نَحْنُ المُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ خَطَايَانَا وَأَعْطَانَا حَيَاةً.^٤

إِنَّ المَوْتَ بِالذُّنُوبِ وَالخَطَايَا قَادِرُونَ عَلَى دَفْنِ مَوْتَاهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى تَبَعِيَّةِ يَسُوعَ. لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَحَرَّرُوا بَعْدَ مِنْ عِبُودِيَّةِ إِبْلِيسِ الَّذِي أَغْوَاهُمْ بِالخَطِيئَةِ وَكَبَلَهُمْ بِأَغْلَالِ الشَّهَوَاتِ العَالَمِيَّةِ. قَالَ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي أَسُوسَ: "وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالخَطَايَا الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلًا. اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيُّ فِي الرَّحْمَةِ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا. وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ المَسِيحِ". وَبِاخْتِصَارٍ أَقُولُ: إِنَّ إِنْفِصَالَنَا عَنِ اللهِ بِاخْتِيَارِنَا هُوَ تَبَعِيَّةٌ لِمَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَيَجْعَلُنَا فِي نَظَرِ اللهِ أَمْوَاتًا حَتَّى لَوْ كُنَّا أَحْيَاءَ فِي نَظَرِ النَّاسِ.^٥

ثَانِيًا: هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَوْتِ الخَاطِيِّ وَمَوْتِ المُؤْمِنِ؟.. نَجِيبُ مِنْ كَلِمَةِ اللهِ بِأَنَّ هُنَاكَ فَرْقٌ. وَمِثْلُ الغَنِيِّ وَلِعَازَرِ الَّذِي ضَرَبَهُ السَّيِّدُ المَسِيحُ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الأَصْحَاحِ السَّادِسِ عَشَرَ يُبَيِّنُ أَنَّ مَنْ تَتَعَمَّ مُتْرَفَهَا فِي عَيْشِيهِ. غَيْرُ

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٨ : ٢١ - ٢٢

^٢ إنجيل مرقس ١٠ : ١٩

^٣ سفر التكوين ٥٠ : ٦

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ٢٢

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢ : ١٣

رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ٢ : ١٣

مُبَالِ بَرَجُلٍ مُعَوَّرٍ يَسْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ بِالْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَتِهِ سَجَلِ الْوَحْيِ وَصَفَا لِنَهَايَةِ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ: "وَمَاتَ الْغَنِيُّ وَدُفِنَ". أَمَا عَنْ لِعَازَرَ فَسَجَلِ الْوَحْيِ وَصَفَا لِنَهَايَةِ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ السَّبْعِ: "فَمَاتَ الْمَسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ". رَبَّمَا أَعَدُّوا لِلْغَنِيِّ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ لِيَدْفِنَهُ مُكْرَمًا مُبَجَّلًا. وَلَكِنْ سَجَلَاتِ السَّمَاءِ لَا تَحْتَوِظُ بِهَا. وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُعِدُّ شَيْئًا لِذَلِكَ الْمَسْكِينِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنْ مَا أَعَدَّتْهُ السَّمَاءُ مِنْ تَرْتِيبَاتٍ لِاسْتِقْبَالِ ذَلِكَ الْمَسْكِينِ كَانَ رَائِعًا. فَإِنَّ غَابَتْ الْعَدَالَةُ عَلَى الْأَرْضِ فَعَدَالَةُ السَّمَاءِ لَا تَغِيبُ وَلَنْ تَغِيبَ. كَانَ فَرِيقٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُعَدًّا لَهُ لِيَحْمِلَهُ إِلَى حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ.^١

ثالثًا: لِمَاذَا لَمْ يُطَلَبْ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ شِفَاءً لَوَالِدِهِ إِذَا كَانَ مَرِيضًا عَلَى قَبْرِ الْحَيَاةِ؟.. لِمَاذَا لَمْ يُسْأَلْ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ الرَّبَّ يَسُوعَ أَنْ يُقِيمَ وَالِدَهُ إِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ؟. لَقَدْ أَقَامَ يَسُوعُ لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْتَنَ. إِنْ صَاحَبَ السُّؤَالَ هُوَ تَلْمِيزُ ذَلِكَ الَّذِي شَفَى مَرَضِي وَأَقَامَ مَوْتِي. وَإِنْجِيلٌ مَتَى فِي إِصْحَاحِهِ الْعَاشِرِ يَذَكِّرُ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَعْطَى الْآتِيَّ عَشْرَ تَلْمِيزَاتٍ لِسُلْطَانَا لِعَمَلِ مُعْجَزَاتٍ. بِجَانِبِ كِرَازَاتِهِمْ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "الْكِرْزُوا قَائِلِينَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ. اشْفُوا مَرَضِي وَطَهَّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتِي. أَخْرِجُوا شَيْطَانِي. مَجَانًا أَخَذْتُمْ مَجَانًا أَعْطُوا".^٢

لَقَدْ امْتَدَحْنَا ذَلِكَ التَّلْمِيزَ أَنَّهُ فَكَّرَ أَنْ يُكْرِمَ أَبَاهُ. وَلَكِنْ لِلْأَسَفِ لَمْ يُدْرِكْ ذَلِكَ التَّلْمِيزَ أَنَّهُ كَانَ الْأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يُقَدِّمَ طَلِبَةَ إِيمَانٍ قَائِلًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ: "يَا سَيِّدُ لِيَتَكَلَّمْ لِي بِكَلِمَةٍ فَتَقُولُ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ أَبِي لِأَنَّكَ تَقْدِرُ". أَوْ يَقُولُ: "يَا سَيِّدُ أَبِي قَدْ مَاتَ. قُلْ كَلِمَةً لِتَعُودَ الْحَيَاةُ إِلَيْهِ فَقَدْ لَفِظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ. إِنْ شِئْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَقِيمَهُ". يَا لِلْأَسَفِ إِنْ تَلْمِيزَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ رَبُّ الْحَيَاةِ يُطَلَبُ الْإِذْنَ بِالذَّفَنِ! كَانَ جَدِيرًا بِهِ أَنْ يُطَلَبَ الْإِذْنَ بِعُودَةِ الْحَيَاةِ. لَقَدْ انشَغَلَ بِمَسْئُولِيَّاتِ تَلْمِيحِهَا عَلَيْهِ التَّقَالِيدُ. وَغَابَ عَنِ ذَهْنِهِ: أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاطِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلِحُ مَلِكُوتِ اللَّهِ.^٣

رابعًا: هَلْ تَمْنَعُ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ مِنْ إِنْجَازِ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ؟.. أَوْ مَسْئُولِيَّاتِنَا الَّتِي تَلْزِمُنَا بِهَا تَقَالِيدُنَا الْأَسْرِيَّةِ؟. وَالْإِجَابَةُ: لَيْسَ مَا يَمْنَعُنَا مِنْ إِنْجَازِ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ. يَصِفُ بُولُسُ الرَّسُولُ خَادِمَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: "يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا. لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ". إِنْ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ تَعِينُنَا عَلَى إِدَارَةِ شُؤْنِ بُيُوتِنَا عَلَى خَيْرِ وَجْهِ. إِنْ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ تَمِدُّنَا (١) بِالْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَ(٢) بِالْحِكْمَةِ. وَ(٣) بِالْقُدْرَةِ عَلَى رِبْحِ نَفُوسِ جَمِيعِ أَفْرَادِ عَائِلَاتِنَا. بِكُلِّ تَأْكِيدٍ إِذَا انشَغَلْنَا بَعِيدًا عَنِ الرَّبِّ بِحُجَّةٍ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ فَلَا مَحَالَةَ سَنُخَسِرُ نَفُوسَهُمْ. إِنْ الْأَصُوبُ تَأْيِيدِيَّةٌ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ وَنَحْنُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ وَهُوَ بِالْقَرْبِ مِنَّا. وَالْخَطَأُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ أَنَّهُ فِي طَلْبِهِ الْإِذْنَ بِأَنْ يَمْضِيَ أَضَافَ كَلِمَةَ "أَوْلَا" عَلَى خِلَافِ مَا يُعْلَمُ بِهِ يَسُوعَ. لَقَدْ قَالَ: "يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوْلَا وَأَدْفِنَ أَبِي".^٤

لَقَدْ عَالَجَ الرَّبُّ خَطَأَ ذَلِكَ التَّلْمِيزِ قَائِلًا لَهُ: "اتَّبِعْنِي وَدَخِ الْمَوْتِي يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ" لَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ: "اطْلُبُوا أَوْلَا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ". إِنْ هَذِهِ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا مَسْئُولِيَّاتٌ عَائِلِيَّةٌ وَاجِبَةٌ وَلَا زِمَةٌ وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ فِي الْقَائِمَةِ أَوْلَا. لِيَضَعِ كُلُّ شَيْءٍ ثَانِيًا. وَلِنَسْمَعْ صَوْتَ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُونَا قَائِلًا: "اتَّبِعْنِي أَوْلَا". دَخِ الْمَوْتِي يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ. أَنْتَ فِي مِيدَانِ حَرْبٍ مَعَ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ. لَا تَنْسَ أَنْ هَدَفَكَ كَمَسِيحِي نِلْتَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ هُوَ امْتِدَادُ مَلَكُوتِ اللَّهِ. لَا تَتْرُكْ الْمِيدَانَ لِتُحْفَرُ قَبُورًا لِمَوْتِي. لَقَدْ أَعْطَاكَ الرَّبُّ سُلْطَانًا لِإِقَامَةِ مَوْتِي لَا لِيَدْفِنَ أَمْوَاتٍ. وَشَتَانِ الْفَرْقِ.^٥

لِيَتَكِ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ شَرَفْتَنِي إِذْ دَعَوْتَنِي لِأَتَبَعَكَ. أَعْنِي إِلَهِي كَيْ أَكُونَ سَامِعًا عَامِلًا بِكَلَامِكَ. آتِي إِلَيْكَ فِي حَقِّ الدَّمِ الْغَالِي الَّذِي سَفَكَ مِنْ أَجْلِي. طَالِبًا رَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ. خَلَاصَكَ وَتَحْرِيرَكَ. هَبْنِي رَبِّي حِكْمَةً كَيْ أَعِيشَ حَسَبَ مَا يُرْضِيكَ. لِأَتَمِّمَ مَشِيئَتَكَ وَأَعْمَلَ إِرَادَتَكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِيٍّ وَمُخْلِصِيٍّ. وَاتِّقًا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ مُتَمَسِكًا بِوَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ١٦: ١٩ - ٣١

^٢ إنجيل يوحنا ١١: ٣٩ ، إنجيل متى ١٠: ٧

^٣ إنجيل لوقا ٩: ٦٢

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ٤

^٥ إنجيل متى ٦: ٣٣